Semat. Vol 1 No 2, 369-380 (May 2013)

International Journal of Semat

http://dx.doi.org/10.12785/semat/010209

Signfer and Signfied -a study of Ibin Jini's Linguistics Thought

Mohammad Ahmed Abueid

Al-Balqa' Applied University, Irbid College University P.O. box 1293

Email: abueid_mohammad@yahoo.com

Received: 16 May 2013; Revised: 9 June-20 August 2013; Accepted: 28 August 2013
Published online: 1 Sept. 2013

Abstract: This study aims at revealing "Ibn Jini" linguistic approach in signfer-signfied relationship by studying his book "Al-Khasa'is" and defining the roots of his thoughts that former Arab and human researchers studied of "Ibn Jini". Also, the studies of other researchers whom followed him in order to reveal the status of those thoughts of the modern linguistic subjects.

The study concludes that:

"Ibn jinni" has no priority in finding out the relationship between signfer and signfied rather than expanding in the subject itself.

Modern Arab researchers deny "Ibn Jini" layouts about this relationship.

Researchers' denial derives from thoughts and theories of modern linguistic about signfer and signfied.

Keywords: signfer, signfied, Ibn Jini, Linguistics.

International Journal of Semat

http://dx.doi.org/10.12785/semat/010209

الدال والمدلول دراسة في الفكر اللغوي عند ابن جني

محمد أحمد أبو عيد
جامعة البلقاء التطبيقية، كلية اربد الجامعية ـ الأردن
البريد الإلكتروني: abueid_mohammad@yahoo.com

Received: 16 May 2013; Revised: 9 June-20 August Feb 2013; Accepted: 28 August 2013
Published online: 1 Sept. 2013

الملخـص: قصدت هذه الدراسة إلى الكشف عن مذهب ابن جني اللغوي في العلاقة بين الدال والمدلول، وذلك، بتتبع ما ورد عند الرجل من طروحات في كتابه الخصائص، ومن ثم، عرض تلك الطروحات على ما يناظرها في التراث العربي والإنساني، لا بل، وسعت الدراسة إلى الكشف عما آلت إليه الطروحات تلك في مباحث اللغويين المعاصرين ومباحث اللسانيات المعاصرة.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

ليس لابن جني في القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول أولية الابتكار، بل له التوسع في المبحث.

هناك حالة من الرفض عند كثيرٍ من الباحثين العرب المعاصرين لطروحات ابن جني حول تلك العلاقة.

يُعد الباحثون العرب المعاصرون في رفضهم لتلك لطروحات امتداداً لما جاءت به اللسانيات المعاصرة من أفكار ونظريات تتعلق باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول.

الكلمات المفتاحية: الدال، المدلول، ابن جني، اللسانيات العربية.

فاتحة الدراسة

ذهب كثير من الفلاسفة الأقدمين إلى أن ثمة صلة طبيعية بين الدال والمدلول، وهي صلة شبهت عندهم بالصلة بين النار والاحتراق والخصب والنماء [1]، فالدال، على ذلك، سبب للدلالة، والرابط بينهما، أي الدال والمدلول، رابط طبيعي ذاتي [2].

ومن هذا المنطلق، يصف سقراط اللغة المثالية بأنها تلك اللغة التي تربط بين الألفاظ ودلالاتها ربطاً طبيعياً ذاتياً، وعلى وجه التعيين، يكون ذلك الربط في الألفاظ المنبثقة، أصلاً، عن أصوات الطبيعة من حفيف وخرير وزفير [3]. وكان أفلاطون تبع أستاذه في ما ذهب إليه [4].

بل إن بعضاً من هؤلاء الفلاسفة ظل منحازاً للقول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، حتى في الحالات التي عسر الكشف فيها عن تلك العلاقة، فذهب إلى أنها، أي العلاقة الطبيعية، كانت جلية في بدايات التكوين اللغوي، وفي مرحلة تالية صارت اللغة إلى حالة من التطور، عسر معها على قادم الأجيال أن تقف على حقيقة تلك العلاقة [5].

من جهة أخرى، تَزَعَّم أرسطو طائفة من الفلاسفة قالت باصطلاحية أو عرفية العلاقة بين الدال والمدلول [6]. وعليه، فإن النقاش في العلاقة العرفية أو الطبيعية بين الدال والمدلول في الضفة الأخرى من العالم القديم لم يصل إلى نتيجة واحدة يسلم بها الناس، جميعاً، وهو ما ألقى بظلاله، كما يعتقد الباحث الحالي، على الدراسات العربية المعنية بالموضوع، مع ملاحظة أن ثمة انحيازاً عربياً، يمثله أكثر اللغويين، للرأي الأول، والمتمثل بالقول بطبيعية العلاقة وسببيتها.

يقول السيوطي: "كاد أهل اللغة يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني" [7]، وتجسيداً لذلك، ينقل الأنباري عن الكوفيين قولهم إن أصل اللفظ "إنسان" يعود إلى النسيان، وعن البصريين ينقل أنهم قالوا: بل أصله، أي اللفظ إنسان، من الإنس، وسمي الإنس إنساً لظهورهم، إذ إنني آنسُ الشيء إذا أبصرته، وذلك على خلاف "الجن"؛ إذ إن اللفظ يأتي من الاجتنان والاستتار [8]؛ فبغض الطرف عن موضع التخالف بين البصريين والكوفيين، يمكن لنا أن نقول: إن الطرفين اتفقا على القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، وذلك، وفقاً، لما يفضي إليه تفسير التنازع في المسألة الخلافية تلك.

وفي الإطار نفسه، يجعل الصيمري المعتزلي المناسبة بين الدال والمدلول أمراً مسلماً به، لا على مستوى العربية، فحسب، بل على مستوى اللغات، جميعاً، ومن ذلك ما نقل عنه أنه سئل عن معنى لفظة فارسية "أذغاغ"، فأجاب: بأنه يجد فيها يبساً شديداً، ومن ثم، فهي الحجر [9].
وبغض الطرف وصرف النظر عن صحة هذهِ الرواية [10]، فإن ما يجدر بنا التوقف عنده، هو ما وصل إليه الصيمري من تطرف بخصوص القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول؛ وهو تطرف أنكره كثير من العلماء العرب، وهم من وافقوه، من حيث المبدأ، على القول بالعلاقة الطبيعية [11].

كان ذلك مهاداً استعرضت فيه الدراسة أظهر المقولات الخاصة بتصور الأقدمين، السابقين واللاحقين لابنجني، من عرب وغير عرب، للعلاقة بين الدال والمدلول، وهو التصور الذي ألقى بظلاله، بالضرورة، على ما جاء به ابن جني من أفكار، حاول بها التوصل إلى فرضية عامة تصف تلك العلاقة وتحللها.

الدال والمدلول عند ابن جني:

عرض ابن جني للعلاقة بين الدال والمدلول في عدد من مؤلفاته، غير أن الجهد الشامل والمركز في الموضوع، جاء في كتابه ذائع الصيت: الخصائص، وفيه توزع العرض لتلك العلاقة على محاور متعددة، تتولى الدراسة تناولها على الشاكلة الآتية:

إمساس الألفاظ أشباه المعاني:

ولعله من أكثر الأبواب إظهاراً للعلاقة بين الدال والمدلول، وفق فرضية ابن جني، فقد انطوى الباب على أفكار عدة، منها:

أ- البنية الصرفية ودلالتها على المعنى:

ومن ذلك بنية المضعَّف، إذ إنها تدل، كما يرى ابن جني، على التكرير، كما في الزعزعة والقلقلة والجرجرة [12]، ومنها بنية استفعل، وتدل على الطلب، من مثل: استطعم واستسقى واستوهب [13]، ومنه أن جعلت العرب تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، كما في كسَّر، وقطّعَ، وفتَّحَ [14].

ب- مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث:

ومن ذلك قول العرب سدَّ وصدَّ، فالسد دون الصد، لأن السد للباب يُسد، والصد للجبل والوادي والشعب، فخصصوا الصد للأقوى دون السين، لأن الصاد أقوى بما فيها من الاستعلاء، ومن ذلك قولهم الوسيلة والوصيلة، فالصاد أقوى صوتاً من السين، لما فيها من الاستعلاء، أيضاً، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أن التوسل ليس له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ومماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضاً له كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءاً أو كالجزء من المتوسَّل إليه، فجعلوا الصاد، لقوتها، للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف [15]، ومنه قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرُّطب، والقضم للصلب اليابس من المأكولات [16].

ج- سوق الحرف على المعنى المقصود:

ومنه قول العرب شدَّ الحبل، ونحوه، فالشين، بما فيها من التفشي، تشبه الصوت أول انجذاب الحبل [17]، ومنه، جرَّ الشيء، إذ إنهم قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور، جميعاً، ثم جاءت الراء، وهي صوت مكرر، لتدل على تكرير الجر مرة بعد أخرى [18].

د- تسمية الأشياء بأصواتها:

ومنه قولنا: "غاق" اسماً للغراب، محاكاةً منّا للصوت الذي يصدره، ومنه الخازباز للذباب، إذ سمي بذلك لصوته، وكذلك سمي البط بذلك، لصوته، ومنه قولهم: حاحيت وعاعيت وهاهيت، إذا قلتُ حاءٍ وعاءٍ وهاءٍ [19].

هـ- دلالة الحرف على معنى عام إذا اقترن بحروف معينة:

ومنه أن الفاء إذا ما اقترنت بالدال والتاء والطاء والراء واللام والنون، دلت على الوهن والضعف [20]، وعليه، فإن الدالف للشيخ الضعيف والشيء التالف، والدنف للمريض، ومنه الطرف، لأن طرف الشيء أضعفه، والطنف لما أشرف خارجاً عن البناء، وهو إلى الضعف، لأنه ليست له قوة الراكب الأساس والأصل، وكذلك، فالطنف العيب، وهو إلى الضعف [21].

إن أفكار ابن جني في هذا الباب تتلخص في ما يتلو:

- إن كل زيادة في المبنى تلحقها زيادة في المعنى، وذلك، كما في مبحث البنية الصرفية ودلالتها على المعنى.
- إن ثمة أصواتاً في اللغة تنطوي على معنى محدد يلتصق بها وتؤشر عليه، وذلك من مثل دلالة الراء على التكرار، ودلالة الفاء على الوهن عند اقترانها ببعض الأصوات.
- إن ثمة ألفاظاً في اللغة تحاكي، في أصل وضعها، أصوات الطبيعة، ومن ذلك، ألفاظ من مثل: الغاق والبط والخازباز.
- إن أصوات اللغة، تتوزع على محورين، أما المحور الأول، فيتمثل في الحرف الأقوى، وأما المحور الثاني، فيمثله الحرف الأضعف، وليس الحرف قوياً أو ضعيفاً إلا بما يناظره من أصوات، فالمفخم أقوى من المرقق، والمجهور أقوى من المهموس والوقفي أقوى من الاحتكاكي....

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني:

ويشتمل الباب على محاور متوالية، لعل أظهرها:

أ- اقتراب الأصول لتقارب المعاني:

كما في: هزَّ وأزَّ؛ وأزَّ أقوى، لأن الهمزة أقوى من الهاء [22]، ومنه العلْب والعَلْم، إذ العلْم الشق في الشفة العليا، والعلْب الأثر، ومنه، الغرْب: الدلو العظيمة، وذلك لأنه يغرف من الماء بها، فذاك من غ ر ب، وهذا من غ ر ف، ومنه جَبَلَ وجَبَنَ وجَبَرَ، لتقاربها في موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، ومنه الجبل لشدته وقوته، وجَبُن إذا استمسك وتوقَّفَ وتجمع، ومنه جَبَرتُ العظمَ، ونحوه، أي: قويته [23]، وكذلك العَسْف والأسف، والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف [24].

ب- تقليب الأصول:

ومن ذلك، كلم وكمل وملك، فتقاربت الحروف لتقارب المعاني، وقد أطلق ابن جني على هذا الضرب من التقليب الاشتقاق الكبير [25].

ج-المضارعة بالأصول الثلاثة:

نحو عصر الشيء، وقالوا أزله، إذا حَبَسَه، والعصر ضرب من الحبس، وذاك من عصر، وهذا من أزل، والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام [26].

ومن ذلك زأر وسعل وصهل [27]، وكذلك السيف والصوب، ذلك أن السيف يوصف بأنه يرسب في الضريبة لحدته ومضائه، ولذلك قالوا سيف رَسوب، وهذا هو معنى صاب يصوب، إذا انحدر [28].

إن ما ذهب إليه ابن جني في هذا الباب ينطلق من افتراض، يقوم على ما تؤشر عليه بعض الأصوات من معانٍ، وعليه، فإن دلالة الصوت على معنى محدد، يجعل تلك الدلالة تدور مع الصوت أينما حل، وبغض الطرف عن موقعه في اللفظ، بل إن تلك الدلالة لا تقتصر على الصوت، وحده، بل هي تمتد لتشمل الأصوات

القريبة من الصوت؛ سواء أكانت القرابة مخرجية، كما في الهمزة والهاء، والميم والباء، أو كانت قرابة النظائر، كما في الصاد والزاي؛ إذ الصاد هي زاي مفخمة مهموسة؛ وسواء في ذلك كل ما يمكن الوقوف عليه من قرابات بين الأصوات.

قوة اللفظ لقوة المعنى:

ومنه خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون اخشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، وكذلك أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه، قالوا: اعشوشب، وكذلك الأمر في حلا واحلولى وخلق واخلولق وغدن واغدودن [29].

ومثله فعل وافتعل، نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم قدر[30]، وكذلك قولهم: رجل جميل ووضيء، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وَضَّاء، وجُمّال، فزادوا في اللفظ لزيادة المعنى [31].

ومن هذا الباب صيغ المبالغة كالعطَّار وما إليه، ككذَّاب وسَرَّاق، ومنه سكِّين، إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به، ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى، العدول عن معتاد حاله، وذلك فُعّال في معنى فعيل، نحو طوّال، فهو أبلغ معنى من طويل، وعُرّاض فإنه أبلغ معنى من عريض، وكذلك خُفّاف من خفيف، وقُلاَّل من قليل، وسُرَّاع من سريع [32].

إن قوة اللفظ والمعنى في الأمثلة المرصودة في هذا الباب لا تأتي، أولاً، إلا من باب التكرار لأصوات محددة، بما ينطوي عليه ذلك التكرار من تكرار لما يؤشر عليه الصوت من معنى، وذلك كما في اخلولق وعطّار، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن قوة اللفظ والمعنى قد يُتحَصّل عليهما بإحداث زيادات على بنية الكلمة كما في اقتدر، وقد يُتَحَصّل عليها بإحداث زيادة مصحوبة بتكرار لصوت بعينه، كما في: وَضَّاء وجُمَّال وما إليها، جميعاً، من أمثلة تؤكد إن كل زيادة في المبنى تحدث زيادة في المعنى، وعليه، فإن كل أولئك لتندرج في إطار لتؤكد فرضية ابن جني الأساسية بالقول بطبيعية العلاقة بين الدال والمدلول؛ بغض النظر فيما إذا كان الدال صوتاً أو لفظاً.

إن ما عرض إليه ابن جني في الأبواب الثلاثة سالفة الذكر ظل يتمحور، في مجمله؛ حول القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، وإن جاء التمحور على أوجه متعددة، فهو تارة يبحث الأثر الدلالي لصوت محدد من أصوات الكلمة، وتارة يبحث الظلال الدلالية التي يلقيها شكل صرفي ما، وهو "ثالثاً"، يبحث المعنى الواحد في التقليبات المختلفة للجذر اللغوي الواحد، مع الأخذ بعين الاعتبار، ما يطرأ على الجذر ذاته من زيادات في المبنى أو تبديلات لصوت مكان آخر، وما يقود إليه ذلك كله من تغير في المعنى.

دراسة ابن جني للدال والمدلول/ تلقي الأقدمين:

سُبق ابن جني في بعض ما ذهب إليه من طروحات بإشارات كثيرة ومتنوعة للغويين العرب؛ فسيبويه بحث الأمر في أكثر من موضع في الكتاب؛ انظر إليه يقول: "أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يبنى من الأسماء على فعلان، ويكون لمصدر "الفَعْل"، ومنه علهان، طيان، وكلها متعلقة بالأكل[33].

وأشار ابن قتيبة إلى مثل ذلك بتفريقه بين القبض والقبص؛ فالقبض بجميع الكف، والقبص بأطراف الأصابع، وبتفريقه بين الخامدة والهامدة؛ فالنار الخامدة ما سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، والهامدة ما طفئت وذهبت البتة؛ كما فصل ابن قتيبة بين الحزم والحزن؛ إذ الحزم من الأرض أرفع من الحزن[34].

وقد وافق ابن جني في بعض ما ذهب إليه نفر من العرب القدماء، منهم ابن فارس، إذ جعل الصوت دليلاً على المعنى في ألفاظ خاصة، أطلق عليها أسماء الأصوات، كما في "أحَّ"، إذ للهمزة والحاء أصل واحد، هو حكاية السُعال، وما أشبهه من عطس وغيظ، وكلُّه قريب بعضه من بعض[35].

وممن وافق ابن جني الثعالبي، إذ عرض في فقه اللغة وسر العربية لكثير من الألفاظ التي تدل أصواتها على معانيها، كالدندنة، إذ يتكلم الرجل كلاماً نسمع نغمته ولا نفهمه [36]، والجأجأة الصوت بالإبل لدعائها إلى الشرب [37]، والنحنحة حكاية قول المستأذن، والفخيخ صوت النائم [38]، والصهيل صوت الفرس في أكثر أحواله [39].

مع الإشارة، هنا، إلى أن ما عرض له الثعالبي ليس حكراً على العربية، ففي كل لغة ألفاظ تحكي أصواتها معانيها [40]، ولعل مقولات الثعالبي في هذا السياق تكون سبقاً زمنياً لبعض من اللغويين الغربيين الذين قالوا بمحاكاة بعض الكلمات في اللغة لأصوات الطبيعة، كأن يصبح الزئير اسماً للأسد [41]، وهو ما يعرف بمذهب الأناماتوبيا.

والحق، إن هذه المحاكاة ليست مضطردة، إذ إن هذه الألفاظ المحاكية لأصوات الطبيعة لا تكون في كل اللغات على نحو واحد، ولو كانت، أي: تلك الألفاظ، على نحو واحد، لكانت العلاقة فيها بين اللفظ والمعنى علاقة طبيعية [42].

وممن وافق ابن جني في ما ذهب إليه من طروحات: الفارابي، إذ إنه فصل بين الشازب والشاصب؛ فالشازب الضامر من الإبل وغيرها، وأما الشاصب، فأشد ضمراً من الشازب [43].

من جانب آخر، أخذ السيوطي بمذهب ابن جني بالفصل بين الحرف الأقوى والحرف الأضعف؛ إذ جعل العرب، وفق السيوطي، الحرف الأضعف والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً، أو صوتاً، وجعلوا الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حساً[44].

والسيوطي، ثمة، وبوصفه امتداداً لطروحات ابن جني، يفترض أن الجهر أقوى من الهمس، والتفخيم أقوى من الترقيق، والإظهار أقوى من الإخفاء، وما إلى ذلك، وهو افتراض يتناقض وما تذهب إليه الصوتيات المعاصرة، فالجهر والهمس والتفخيم والترقيق ومواضع النطق وآلياته وطرائقه، ليست إلا ملامح يتمايز بها صوت عن آخر، ومن ثم، فليس في الملامح تلك خصائص القوة أو الضعف، وعليه، فإننا ننكر القول بالحرف الأقوى أو الأضعف.

ونقد ابن عصفور ما ذهب إليه ابن جني في باب التصاقب بقوله عن تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني: إنه من ابتكار ابن جني، ولم يقل به أحد من النحويين إلا ما نقله أبو الفتح نفسه عن أبي علي الفارسي، وهو ضرب من الاشتقاق غير مأخوذ به لعدم اطراده، ولما يلحق به من التكلف لمن رامه [45].

والحق، أن ليس لابن جني في ما ذهب إليه من علاقة طبيعية بين الدال والمدلول في الأبواب الثلاثة، لا باب التصاقب وحده، من أولية في الوضع أو الابتكار، بل أولية التوسع في الفكرة الأساس لدرجة الإسراف والتكلف، فقد سُبق ابن جني في طروحاته حول العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، من باحثين ولغويين كثر، لا على مستوى الثقافة العربية، فحسب، بل على مستوى الثقافة الإنسانية؛ فيونانياً، قال بذلك سقراط وأفلاطون، وعربياً، قال به من قبل ابن جني سيبويه وابن قتيبة، ووافقه كثيرون منهم ابن فارس والثعالبي والسيوطي.

دراسة ابن جني للدال والمدلول/ تلقي المعاصرين:

احتفل بعض المعاصرين العرب بطروحات ابن جني في العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، ولعل أظهر أولئك، محمد المبارك، إذ عرض لما يشبه "الفرضية اللغوية"، وأطلق عليها "القيمة التعبيرية للحرف العربي"، مستلهماً بذلك جملة الأفكار التي جاء بها ابن جني، فزعم أن صوت الغين يدل على الاستتار والغيبة والخفاء، كما في: غاب وغار وغاص وغال، وغام وغمد وغمر وغمز وغرب وغش وغط؛ وزعم أن صوت "النون" إنما يدل على الظهور والبروز، كما في نفث ونفخ ونبت ونزع ونجم [46].

وكذلك ذهب المبارك إلى أن القاف تدل على الاصطدام أو الانفصال، كما في: قدَّ وقرع ودقَّ وشقَّ وطقَّ؛ والسين إنما تشير إلى الليونة والسهولة، كما في: سهل وسلم وسَلَّ، وسال، ومس وملس وسحب [47].

إن الكلمة ثلاثية الجذر، وفق المبارك، إنما تعبر عن معنى محدد، هو حاصل الجمع لمعاني أصواتها الصوامت الثلاثة، كأن نقول، مثلاً: إن "غرق" يُتحصّل على معناها من حاصل الجمع لمعاني الغين والراء والقاف، فالغين تدل على غيبة الجسد في الماء، والراء تدل على تكرار الغياب والاستمرار في السقوط، والقاف تدل على اصطدام الجسد بقعر الماء، وعليه، فإن المعنى المتحصل عليه من اجتماع المعاني الجزئية للأصوات الصوامت، هو معنى اللفظ "غرق" [48]، وهو معنى كلي للفظ.

وفي إطار من التلقي لتلك الطروحات، جاءت قرارات المجامع اللغوية بصياغة البنية الدالة على الحرفة أو شبهها من الوزن "فِعالة"، وبأن يصاغ المصدر على وزن فعلان للفعل اللازم مفتوح العين، إذا دل على التقلُّب والاضطراب، وكذلك يقاس فُعال للمرض، وفعال وفعيل للصوت [49].

أما الوزن فِعالة فمثله من الألفاظ المستحدثة قِبالة وسِمانة وبِرادة، ومما ورد من الألفاظ الحديثة من أسماء الأمراض وجاء على وزن فُعال كُساح وزُكام.

وفي السياق نفسه أفاد المعجميون العرب المعاصرون مما جاء عند ابن جني ومما ورد في قرارات المجامع اللغوية من دلالة البنية الصرفية على معنى محدد، فوظفوا ذلك في ابتكار المصطلحات العلمية، ومن ذلك ما جاء عند واضع معجم المصطلحات الحراجية "لقد اتبعت قرارات المجمع بالقاهرة في قياسية عدد من الأوزان، ومنها فِعالة للحرفة كالغراسة من غرس، والحِراجة من حَرج [50].

ومن البنى التي أفاد منها المعاصرون بنية استفعل ودلالاتها على الطلب [51]، كما في "الاستعلامات"، وهي لفظة أصبحت ذات شيوع في مختلف الأروقة والميادين.
إن ربط المعاصرين بين الدال والمدلول في ألفاظ محددة، لا يعني، بالضرورة، التسليم بما ذهب إليه ابن جني، كلاً، فالقول بأن "كسَّر" فيها مبالغة وشدة أكثر من "كسر"، لا يقود إلى القول بالعلاقة بين الأصوات (ك، س، ر) وما تدل عليه من معنى، وبعبارة أخرى، فإن ذلك القول لا يقود إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

على أية حال، فإن كثرة من المعاصرين العرب، من ذوي التوجهات اللسانية، وجدت نفسها في حالة تتخالف فيها مع طروحات ابن جني، ذلك أن ما جاء به الرجل من أمثلة تدلل على القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول ليست إلا أمثلة يسيرة، والخروج منها ومحاولة سوق أمثلة أخرى تتساوق معها ليس إلا ضرباً من التكلف والتعسف، ومن ثم، العدول باللفظ عن المعنى الأصلي [52]؛ وعلى سبيل التمثيل، فإننا إذا ما سلمنا، جدلاً، بدلالة القاف على الاصطدام في قدَّ وقطع وما إليها، فإن تصفح المعجم العربي ليزودنا بكثير من ألفاظ تشتمل على القاف ولا تدل على الاصطدام ومعانيه، من مثل قوس وقبة وقلة.

وكثير من الألفاظ التي يبدو عليها التشابه، وبناءً عليه، عدت ألفاظاً مختلفة لجذور مختلفة، ليس الاختلاف بينها إلا ضرباً من التناوب الصوتي، وهو تناوب يعود للاختلافات اللهجية بين القبائل العربية[53]، ولعل الشاهد المكرور في المصادر اللغوية العربية، حكاية عن لسان الأعرابي في قوله: صقر، زقر، سقر، خيرُ ما يؤتى به دليلاً على أن ما ورد من أمثال ذلك عند ابن جني وغيره ليس إلا لاختلافات لهجية يعرفها كل منا في واقع اللهجات العربية المعاصرة. ومن ثمّ، فإن هذه الأمثلة وأضرابها لا ينظر إليها بوصفها كلمات متخالفة ذات دلالات متنوعة، بل هي كلمة واحدة تغيرت بتغير اللهجات، ومن أمثال ذلك مما ورد عند ابن جني (الوسيلة والوصيلة والأسف والعسف وهزَّ وأزَّ).

وعليه، فقد رفض أكثر المعاصرين العرب الفكرة الأساس التي انطلقت منها طروحات ابن جني، وهي الفكرة القائمة على افتراض العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، ولعل أظهر ما اتكأ عليه الرافضون[54]:
- أن اللفظ الواحد في اللغة الواحدة قد يعبر عن دلالات متنوعة، وهو ما يطلق عليه المشترك اللفظي.
- أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة من الألفاظ، وهو ما يسمى بالترادف.
- أن التطور اللغوي قد ينتج عنه تطور الألفاظ وتغيرها من جهة الشكل مع احتفاظها بذات الدلالات، وقد ينتج عنه تغير الدلالات مع الاحتفاظ بالشكل الأوحد.

بل إن بعضاً ممن قالوا بمثل هذه العلاقة بين الدال والمدلول من الغربيين، مثلاً، يحذر جمهور اللغويين من المغالاة، إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تضطرد في لغة، والألفاظ المحاكية لأصوات الطبيعة تفقد صلتها بالمعنى، بمرور الأيام [55].

والعلاقة بين اللفظ والمعنى عند إبراهيم أنيس علاقة مكتسبة، لا سحر فيها ولا غموض، وعليه، فإن القول بالعلاقة الطبيعية ليس إلا من باب التوهم [56].

من جانب آخر، يرى تمام حسان أن ليس في الفكر ما يفرض شكلاً معيناً للرموز الصوتية، فهذه الرموز موضوعة وضعاً اعتباطياً، وليست وظيفة اللغة في هذا أن تخلق وسطاً صوتياً للتعبير عن الأفكار، ولكن أن تقوم بدور الوسيط بين الفكرة والصوت في حالة تدعو كلاً منهما إلى الآخر، والمعنى بهذا الاعتبار علاقة متبادلة بين الاسم والفكرة تجعلهما يتداعيان [57].

إن اللغويين العرب المعاصرين في رفضهم لطروحات ابن جني وأفكاره، ليسوا إلا امتداداً للرفض اللساني المعاصر، لأي شكل من أشكال العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، وهو رفض يطبق عليه اللسانيون المعاصرون؛ فسوسير المؤسس للسانيات المعاصرة ينكر العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، وبعبارة سوسير نفسها المنقولة للعربية، فإنه ليس ثمة من علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، بل إن العلاقة اعتباطية أو ارتجالية [58]؛ إن اعتباطية العلاقة لا تشير، هنا، إلا إلى عدمية العلاقة، ومن ثم، فإن الدال اللغوي (الصوت/ اللفظ) غير محمل بأي إشارة للمعنى، فالمتصور الذهني "شجرة" لا تربطه أي علاقة داخلية بالمتوالية الصوتية: "الشين والفتحة والجيم والفتحة والراء والفتحة والتاء".

لقد اقترنت المقولات اللسانية الرافضة للعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول، والقائلة باعتباطية العلاقة، بتطور الدرس الصوتي المعاصر [59]، وما حققه من استكشافات لسانية.

يقول ستيف أولمان: "من الواضح أنه ليس هناك علاقة طبيعية بين الصيغة والمعنى...، إذ إن المرء لا يعجز فقط عن إدراك هذهِ العلاقة، بل إنه على فرض وجود علاقة خفية هناك، لن يدري كيف يفسر تنوع الأسماء الموضوعة لهذا الشيء نفسه، وتبايـن هذه الأسماء في لغات مختلفة، فالتفاحة يعبر عنها بالكلمة apple في الإنجليزيـة، و bomme في الفرنسية، و mauzana في الإسبانية [60].

وكان فندريس عدَّ القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول قولاً مستمداً من الظروف، بل إن فندريس عدّ القول بذلك، أي العلاقة الطبيعية، لا يثير في يوم الناس هذا إلا الابتسام [61].

من جهتها، أنكرت الدراسات السيكولسانية مثل هذه العلاقة الطبيعية، وأكدت ما ذهبت إليه اللسانيات النظرية؛ إذ إن العلاقة بين الدال والمدلول، وفق هؤلاء السيكولسانيين، لا تعدو أن تكون علاقة آلية مادية تربط ما بين المثير والاستجابة [62].

حاصل التكلم في ما سلف من أوراق، أن طروحات ابن جني في العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول كانت امتداداً للطروحات اليونانية وامتداداً لغير ذلك من طروحات، بما في ذلك طروحات العرب الأقدمين السابقين لابن جني، وعليه، فإنه ليس لابن جني في الأمر أولية الابتكار أو الاكتشاف، بل أولية التوسع والتمدد في المساحة المفترضة للعلاقة بين الدال والمدلول.

وعلى أية حال، يمكن لنا القول إن اللسانيات المعاصرة بمقولاتها العلمية الصارمة، تجاوزت مثل هذه الطروحات، عامة، سواء في ذلك أصدرت عن ابن جني أم صدرت عن غيره من اللغويين.

المراجع:

1) أنيس، إبراهيم، **أسرار اللغة**، ط5، مصر، 1975، ص62.
2) أنيس، **أسرار اللغة**، ص62.
3) أنيس، أسرار اللغة، ص62.
4) هلال، عبد الغفار، **العربية، خصائها وسماتها**، ط4، 1995، ص274.
5) أنيس، **أسرار اللغة**، ص62.
6) أنيس، **أسرار اللغة**، ص141.
7) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمدأحمد جاد المولى، بيروت، دار الجيل، د.ت.، ص47.
8) الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د.ت.، ص811.
9) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ص47.
10) عبد التواب، رمضان، **بحوث ومقالات في اللغة**، ط1، مكتبة الخانجي، 1982، ص18.
11) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ص47.
12) ابن جني، **الخصائص، ج2**، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ص152.
13) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص155.
14) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص157.
15) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص162-163.
16) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص159.
17) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص165.
18) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص166.
19) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص167.
20) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص168.
21) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص168.
22) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص146.
23) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص148-149.
24) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص146.
25) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص146.
26) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص150.
27) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص151.
28) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص153.
29) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص267.
30) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص268.
31) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص269.
32) ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص270.
33) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1975، ص21.
34) ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، بيروت، دار صادر، 1967، ص223.
35) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ط1، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، 1991، ص9.
36) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق: سليمان البواب، دمشق، دار الحكمة، 1984، ص220.
37) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ص223.
38) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ص226.
39) الثعالبي، **فقه اللغة وسر العربية**، ص227.
40) وافي، علي، **فقه اللغة**، القاهرة، دار النهضة، 1975، ص171.
41) أنيس، **أسرار اللغة**، ص69.
42) عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، ط1، ص18.
43) الفارابي، **ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، القاهرة، 1974، ص345.
44) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ص53.
45) ابن عصفور، الإشبيلي، **الممتع في التصريف**، ط1، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، حلب، المكتبة العربية، 1970، ص40.

46) المبارك، محمد، **فقه اللغة وخصائص العربية**، ط7، دار الفكر، 1981، ص105.
47) المبارك، **فقه اللغة وخصائص العربية**، ط7، ص105.
48) المبارك، **فقه اللغة وخصائص العربية**، ط7، ص105.
49) الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، ط2، سوريا، مطبعة الجامعة السورية، 1957، ص113.
50) الشهابي، مصطفى، **معجم المصطلحات الحراجية**، مطبعة الترقي، 1962، ص6.
51) هلال، **العربية، خصائها وسماتها**، ط4، ص281.
52) عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، ط1 ص18؛ بكر، يعقوب، **نصوص في فقه اللغة العربية**، بيروت، دار النهضة، 1970، ص137؛ أنيس، **أسرار اللغة**، ط5، ص144.
53) وافي، فقه اللغة، ص179.
54) أنيس، **أسرار اللغة**، ط5، ص144.
55) أنيس، **أسرار اللغة**، ط5، ص68.
56) أنيس، **أسرار اللغة**، ط5، ص78.
57) حسان، تمام، **مناهج البحث في اللغة**، ط2، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1974، ص244.
58) سوسير، **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة: صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، 1985، ص50.
59) أنيس، **أسرار اللغة**، ط5، ص144.
60) أولمان، ستيف، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، مكتبة الشباب، د.ت.، ص24.
61) فندريس، **اللغة**، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.، ص40.
62) أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص26.